عندما يجعل الآخرون حياتكَ صعبة

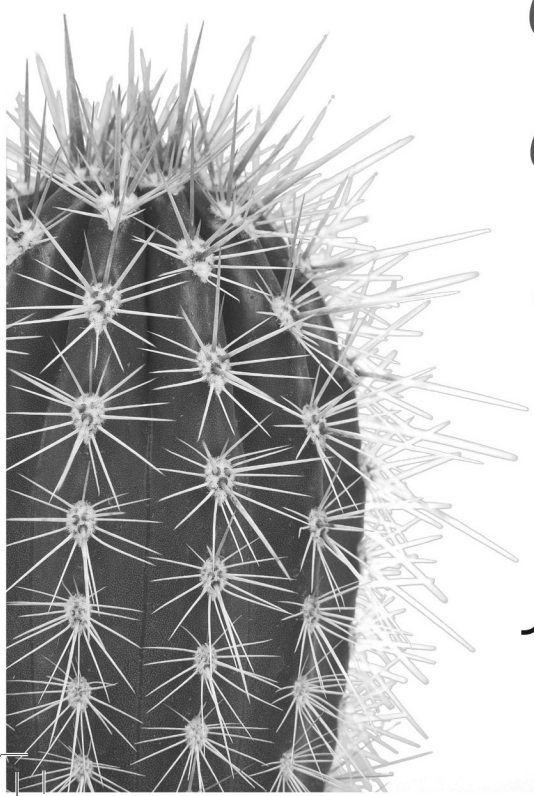

دانيال ميلير

Originally published in English under the title

WHEN OTHERS MAKE YOUR LIFE DIFFICULT

Copyright @2016

Arabic Edition Copyright 2023 - Gleam Publications

www.gleampublications.com

feedback@gleampublications.com

All Rights Reserved

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

الكتاب: عندما يجعل الآخرون حياتكَ صعبة

المُؤلِّف: دانيال إ. ميلير

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص. ب. ١٦٥ منصورية، المتن– لبنان

هاتف: +٩٦١٤٤٠١٩٢٢

فاكس: +٩٦١٤٥٣٢٤٨١

بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com

موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com

الناشر: دار منهل الحياة بإذن من Gleam Publications

التّرقيم الدّولي: 978-614-460-118-1

دار منهل الحياة
Dar Manhal al Hayat

جميع الحقوق باللُّغة العربيَّة محفوظة للنّاشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أيّ جزء منه من دون إذن النّاشر.
وللنّاشر وحده حقّ إعادة الطّبع والنّشر من خلال النّسخ المطبوعة
أو أيّة وسيلة سمعيّة أو بصريّة، أو عبر الانترنت في أيّ مكان.

المحتويات

المقدّمة		٥
١	فهمُ الله	٧
٢	فهمُ الخلق	١١
٣	فهمُ ذاتي	١٣
٤	النموّ الروحيّ – الرحلة	١٧
٥	فهمُ الآخرين	٢١
٦	النزاع	٢٥
٧	كيف يجعل الآخرون الحياةَ صعبة؟	٢٩
٨	لماذا يجعل الآخرون الحياةَ صعبة؟	٣٣
٩	الحرب الرّوحيّة	٣٩
١٠	أعمال السلام	٤٣
١١	تبادل الرحمة	٤٧
١٢	المغفرة	٥١
١٣	المعاناة	٥٥
١٤	صقل الذهب بالنار	٥٩
نبذة عن المؤلف		٦٢
الطَّريقُ إلى اللهِ والسَّلامِ		٦٣

المقدّمة

نعيشُ على هذه الأرض مع بني البشر، ومعًا، نَقودُ في الشوارعِ ونَسيرُ في الطرقاتِ ونتنشَّقُ الهواء. وأحيانًا يكونُ هذا التعايشُ هادئًا وجميلًا، وأحيانًا لا يكون. يولِّدُ التفاعلُ الوثيقُ الخلافات، ويرى الأشخاصُ الأنانيّونَ أنَّ رغباتِهم تتعارضُ مع رغباتِ الآخَرين، ويبدو أنَّ التعساءَ مصمِّمون على نَشرِ كآبتِهم. وقد يَجعلُ بعضُهم حياةَ الآخَرين صعبةً، سواءٌ بوسائلَ بسيطةٍ أو معقَّدة. ولا أظنُّ أحدًا نجا من صدمةِ العلاقاتِ المضطربة.

سنبدأ هذه الدراسة بالتفكير في الله، إذْ من المستحيل أن نَفهمَ أنفُسَنا والآخَرينَ على نحوٍ صحيح، ما لم نَفهَمْ خالقَنا. وعندما نفهمُه ونُدرِكُ الهدفَ الذي أعدَّهُ لنا، يمكنُنا حينئذٍ أن نُقيِّمَ حياتَنا بِصِدقٍ أكبر.

علامَ نَبني طريقةَ تَواصُلِنا مع الآخَرين؟ لمَ نُنشئُ العلاقاتِ في الأساس؟ ما أنواع السلوكيّاتِ التي نعتبرُها مُهينةً في علاقاتنا؟

بِوُسعِنا أن نجيبَ عن جميعِ هذه الأسئلةِ متى نَظَرْنا بصدقٍ إلى دَواخلِنا.

وإذْ نتخطّى ذواتِنا، ينبغي أن نفكّر في احتياجاتِ الآخَرِينَ ورغباتِهم. فعندما نتأثّرُ بِسُلوكيّاتِهم السلبيّة، يمكننا أن نختار إمّا التركيزَ على تصرُّفاتِهم الخاطئة، وإمّا التعمّقَ أكثرَ في محاولةِ فهمِ الدوافعِ والرغباتِ والاِحتياجاتِ التي تُحفِّزُ هذا السلوك.

يبدو أحيانًا أنَّ العلاقاتِ الإنسانيّةَ مَيؤوسٌ منها؛ فالشفاءُ من التصدُّعاتِ التي استمرَّتْ لِسَنوات يبدو بَعيدَ المنال، والردودُ الساخرةُ وجَولاتُ الصراخِ والسخريةِ والترهيب، تصبحُ اعتياديّة. وفي علاقاتٍ مماثلة، يبدو الشروعُ بالتواصل عن طريق المحبّة مُحرجًا ومُهينًا. وقد تُقابَلُ محاولاتُنا ترميمَ العلاقاتِ بالرفض، فتبدو أَيُّ جهودٍ مستقبليّةٍ في هذا الصددِ مستحيلة.

لكنْ ثمّةَ أَمَلٌ يَلُوحُ في الأفق: "اللهُ الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ" (أف ٣: ٢٠) هو إلهٌ يريدُ شفاءَ العلاقاتِ المكسورة. أمّا قصدُه لنا فهو أن نتعلَّمَ أن نحبَّ كما هو يُحِبُّ، متسلّحينَ بِقُوَّتِهِ للعيشِ في سلامٍ وحريّة، حتّى عندما يجعلُ الآخَرون الحياةَ صعبة.

١

فهمُ الله

الإِلَهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ هَذَا إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي.

— أعمال الرسل ١٧: ٢٤

أتذكّرُ مشاعرَ الإرهاقِ الذهنيِّ التي كانت تُخالِجُني باستمرارٍ عندما كنتُ طالبًا في المدرسة الثانويّة والكلّيّة. فبعد أن حاولتُ جاهدًا فهمَ تعقيداتِ الجَبْرِ أو قواعدِ الاقتصاد، وصلتُ فجأةً إلى مرحلةٍ شعرتُ فيها أنّني غيرُ قادرٍ على استيعابِ الموادِّ التعليميّة. وقد بدا أحيانًا أنّه على الرغم من الجهود التي كنتُ أبذلُها، لم يَكُنْ ذِهني يتمتّعُ بالقدرةِ على استيعابِ المفاهيم المُدرَّسة.

تنتابنا أحيانًا مشاعرُ مماثلةٌ عندما نفكّرُ في الله. فقد تشكِّل محاولةُ فهمِ الكائنِ الأزليِّ الأبديّ، خالقِ كلِّ شيء، الذي لا يُعوزُه شيءٌ، تحدِّيًا للفكر البشريّ. كونَنا مَخلُوقِين، لا يمكنُنا على الإطلاق أن نفهمَ تمامًا فكرَ الكائنِ المعصومِ عن الخطأ، الذي خلقَنا وخلّصَنا ويعتني بنا.

لكنّ هذا لا يعني أنّنا لن نعرفَه، لأنَّ رغبتَهُ في التواصُلِ معنا دفعَتْهُ إلى خَلْقِنا (أعمال الرسل ١٧: ٢٦– ٢٧؛ رؤيا يوحنا ٤: ١١). فعلى غرار العلاقات الإنسانيّة، حيث يتحوّل الشخصُ من شخصٍ غريب إلى أحدِ المعارف، ثُمَّ إلى صديقٍ حميم، هكذا من شأنِ علاقتِنا باللهِ أن تتطوّرَ لِتَبلُغَ مستوياتٍ أعمقَ من الحميميّةِ والتفاهم. والخبر السارُّ هو أنّنا لن نبلغَ أبدًا مرحلةً ندركُ فيها اللهَ بِعُمقٍ ونَفهَمُ كلَّ ما يتعلّقُ به؛ فمهما طالت فترةُ حياتِنا أو مهما طالت معرفتُنا بالربّ، فسيكونُ لدينا دومًا المزيدُ لنتعلَّمَهُ عنه.

تنطوي معرفةُ الله على فَهمِ الكثيرِ من جوانبِ شخصيّتِه، وكيف تندمجُ في كائنٍ واحدٍ كامل. علينا أن نُوازِنَ بينَ التركيزِ على رحمتِه تجاهَ البشريّةِ وبينَ حقيقةِ عدالتِهِ التي تتطلَّبُ التوبةَ عن الخطيَّة، ويجبُ تقييمُ قداستِهِ المثاليّةِ إلى جانبِ مغفرتِهِ ونِعمتِه.

في خضمّ هذا التعلّم كلّه، ليس الهدفُ مجرّدَ تمرينٍ أكاديميٍّ لإنشاءِ صورةٍ دقيقةٍ عن الله. فالغرضُ من هذا السعي هو السماحُ لمعرفتِنا باللهِ أن تشكّلَ حياتَنا الدنيويّة، وتُعِدَّنا للحياةِ السماويّة. ومِن دونِ هذه المعرفةِ نَضِلُّ الطريقَ لا محالة. وعلى حدّ تعبير

أ. و. توزر (A. W. Tozer)، "من المستحيل أن نحافظَ على سلامة ممارساتنا الأخلاقيّة ونُبقيَ مواقفَنا الداخليّةَ صحيحةً إذا كانت فكرتُنا عن الله خاطئةً أو غيرَ ملائمة."[١]

من ناحيةٍ أُخرى، كلّما تعلَّمْنا أنْ نعرفَ اللهَ على نَحوٍ أَفضل، أصبحَ سُلُوكُنا أشبهَ بِسُلوكِ المسيح. فإنّ الوقوفَ في رهبةٍ أمامَ قداسةِ اللهِ سيقودُنا نحو القداسة، وسيُحفِّزُنا شعورُنا بعظمةِ رحمتِه تجاهَنا على إظهارِ الرأفة. ومتى أدركْنا محبّةَ الله للعالم، ستنفتحُ أعينُنا على احتياجاتِ الآخَرين. وحينذاك، عندما نبدأُ بِفَهمِ المحبّةِ التي في قلب الله، سندركُ أنَّه يَطلبُ مِنّا أن نمنحَ هذه المحبّة، لا لِمَن هم جديرون بها فحسب، بل أيضًا لمن يسبّبونَ لنا إزعاجًا.

١ أ. و. توزر، *The Knowledge of the Holy* (ما ترجمتُه "معرفةُ القدّوس") (نيويورك: دار هاربر بوكس، ١٩٦١) ص. ٨.

٢

فهمُ الخلق

أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَخَلَقْتُ الإِنْسَانَ عَلَيْهَا. يَدَايَ أَنَا نَشَرَتَا السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا أَنَا أَمَرْتُ.

— إشعياء ٤٥: ١٢

لقد اعتَدْنا، كَونَنا بَشرًا، على بناءِ أفكارِنا وآرائِنا على ما اختبرناه. فإنّنا لا ندركُ إلّا بشكلٍ مُبهَمٍ الأشياءَ خارجَ إطارِنا المرجعيّ التجريبيّ. وهذه هي الحالُ عندما نفكّرُ في الزمن الذي سبقَ الخَلْق. يَصعُبُ علينا أن نتخيّلَ كيف كان الأمرُ بالنسبة إلى الله القدير عندما أخذَ كرةً مائيّةً غيرَ مأهولةٍ وحوّلَها إلى مسكنٍ رائعٍ للبَشرِ والحيوانات. ونكادُ لا نستطيع تصوُّرَ الزمنِ قبلَ وجودِ البشَر، أو كيف كانت الحالُ بالنسبة إلى مَن كانا يعيشان وحدَهما على وجهِ الأرض كلّها. هذه أمورٌ ينبغي لنا أن نتقبَّلَها بالإيمان، مدركين "أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" (عب ١١: ٣).

فَلِمَ خلقَنا اللهُ ومنحَنا عالَمًا نعيشُ فيه؟ وما هو الغَرَضُ مِن وُجودِنا؟ تُعطينا رسالةُ كولوسي ١: ١٦ الإجابة: "الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ

خُلِقَ." ويشملُ هذا أشياءَ متنوِّعةً مثلَ أشجارِ الجُمَّيزِ وحيوانات السلمندر وكوكب نبتون ونهر النيل وفاكهة المانجو ودرب التبّانة، والأهمُّ مِن ذلك أنّه يشملُنا نحن.

لقد خُلقنا لأجل الله، وقد خلقَنا اللهُ لأنّه أرادَنا. توسّعُ رؤيا يوحنا ٤: ١١ هذا المفهوم عندما تَذكرُ أنّنا خُلقنا لأجل مَسرّة الله. تُعَدُّ هذه الفكرةُ ثوريّةً وصاعقة، وتكاد تكون جريئة! لمَ يهتمُّ الإلهُ الذي أتقنَ صُنعَ الكواكبِ والنجومِ بشخصٍ ضعيفٍ وهَشٍّ مثلي؟ هل يمكن حقًا لكائن هالِكٍ يعاني أنَ يُشعرَ الله بالسرور؟ الجواب هو نعم؛ نعم بِوُسْعِ الله أن يَشعرَ بالسرور، وهو بالفعل يَشعر بالسرور! ولا يجد المسرّةَ فينا فحسب، بل خلقَنا أيضًا لنجدَ نحن المسرّةَ فيه. فعندما خلقَنا على صورتِه ومنحَنا نفوسًا حيّة، صمّمَنا بحيث لا نجد الشبعَ العميقَ إلّا من طريق علاقةٍ تَبعيّةٍ معه (التكوين ١: ٢٧؛ ٢: ٧).

قيل لنا في أعمال الرسل ١٧: ٢٨ إنّنا به نوجد. فبعبارةٍ أُخرى، لا يمكننا أن نفهمَ بِدِقَّةٍ هُويّتَنا ومكانَنا في العالَمِ إلّا عندما نفهمُ مكانتَنا ككائناتٍ خُلقَتْ على يدِ الله ولأجلِه. وانطلاقًا من هذا الفهم فقط يمكننا أن نفهم الآخَرِين حقًا.

٣

فهمُ ذاتي

يا رَبُّ قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ.

— المزامير ١٣٩: ١-٢

عندما كنتُ في سنِّ المراهقة، كان شعورٌ بالثقلِ ينتابُني غالبًا أيّامَ الآحادِ في فترةٍ ما بعدَ الظهر، وكان ينتزعُ منّي فرحتي ويجعلُني أنظرُ إلى العالَمِ عبرَ عدساتٍ رماديّةٍ كئيبة. وفي حين كان بوسعي تحديدُ أسبابٍ عدّةٍ محتمَلَةٍ لِحُزنٍ ما بَعدَ ظُهرِ يوم الأحدِ هذا، كان غموضٌ ما يَلُفُّ هذا الموضوع، ولم أَكُنْ أَعلَمُ حقًّا لِمَ كان يساورُني هذا الشعور.

لعلّنا جميعًا نتذكَّرُ أوقاتًا كهذه لم نتمكّن فيها مِن تحديدِ السببِ وراءَ ما ينتابُنا مِن مشاعر. إنّنا لا نَفهمُ أنفسَنا! ففي مثل هذه الأوقات، نتعزّى عندما نتذكّرُ أنّ خالقَنا يَفهمُنا ويُريدُ مساعدتَنا على فَهمِ أنفسِنا. وكما نتّصلُ بالشركةِ المُصنِّعةِ الأدواتِ الإلكترونيّةَ عندما لا نَفهمُ كيفيةَ تشغيلِها، هكذا يدعونا اللهُ إلى أن نستشيرَهُ عندما لا نفهمُ كيف، نحن خليقتَه، نفكّرُ ونَعمل.

ستساعدُنا استجابةُ الله، التي نتلقّاها بالصلاة وبقراءة كلمتِه، في رحلةِ فَهمِ أنفسِنا. وإنَّ تلقّيَ مُداخلاتِ أصدقائِنا وعائلتِنا وملاحظاتِهم أمرٌ هامٌّ أيضًا. عندما نُصغي إلى اللهِ والآخَرين، ونُحلّلُ أفعالَنا ورُدودَ أفعالِنا، ستنجلي حقائقُ معيّنة.

لقد أشرنا سابقًا إلى أنّ الله خلقَنا لنفسِه، وقد خلقَنا كي نحتاج إليه. لقد صمَّم احتياجاتِنا العاطفيّةَ كي يجذبَنا إليه، لكنّ الخطيَّةَ عقَّدَتْ هذا التصميم. إنّها تسلبُ الرغبات التي وضعها الله في قلوبِنا وتُشَوِّهُها وتُحَوِّلُها إلى تَلاعُبٍ لِخدمةِ الذات، كما أنّها تُعمي بصائرَنا عن مصدرِ الرضا الحقيقيّ وتُقنِعُنا بأنّنا سنكونُ سُعَداءَ إذا سعَينا وراءَ كلِّ ما هو مزيّف. في ما يلي بعضُ الأساليبِ التي بها نسمح في كثيرٍ من الأحيان لرغباتنا بأن تقودَنا إلى سُلُوكيّاتٍ مدمِّرة:

- نريد أن نكون محبوبين، فنحاولُ أن نكون على قَدْرِ تَوَقُّعاتِ الآخَرين.
- نريد أن يلاحظَنا الآخَرون، فننخرطُ في سلوكٍ يجذب الانتباه.
- نريد أن يقدّرَنا الآخَرون، فنحاولُ أن نَحُطَّ مِن قيمة المحيطين بنا.
- نريد أن يكونَ الآخَرون بحاجةٍ إلينا، فنحاولُ إيهامَهُم بأنّه لا غنى عنّا.
- نريد أن نشعرَ بالأمان، فنحاول استئصالَ كلِّ ما قد يؤذينا.

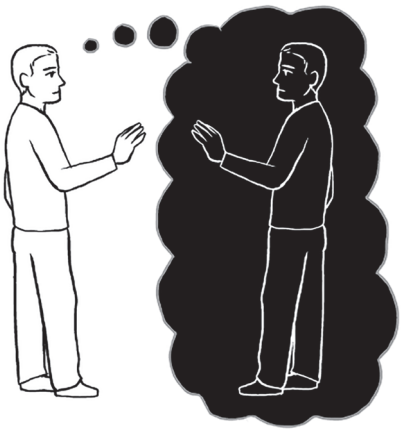

من المؤسف أنَّ هذه الاستراتيجيّاتِ لن تُجْدِيَ نَفْعًا؛ فإنّ محاولةَ إرضاءِ رغباتنا بهذه الوسائل ستزيد فراغَنا العاطفيَّ عُمقًا. ومن المؤسف أيضًا أنّه في معظم الأحيان لا دِرايةَ لنا بالرغبات الداخليّةِ التي تُسبّبُ هذه السلوكيّات. وفي جُهودِنا المستمرةِ لِمَلْءِ فَراغِ نفوسِنا، نفشلُ في التوقُّفِ وتحليلِ الحافز الذي يدفعُنا.

وفي الواقع، هذه هي حالُ كلِّ نَفْسٍ لا تعرفُ المسيحَ ولم تَقبَلْ تدبيرَه. يعبّر مقطعٌ من ترنيمة "إنقاذ الهالك" (Rescue the Perishing) عن ذلك خيرَ تعبير:

في عمق قلب الإنسان، المسحوق من المجرِّب،
تَقبَعُ مشاعرُ دفينة، وحدَها النعمةُ تستطيعُ ردَّها.
بلمسةٍ من قلبٍ مُحبٍّ ولطفٍ منبّهٍ،
تعود الأوتارُ المقطوعة لتعزفَ مجدّدًا.[١]

لقد صحَونا نحن المؤمنينَ على حقيقةِ أنَّ اللهَ يريدُ علاقةً بنا، ويريدُها بِشِدّة، لِدرجةِ أنّه اشترانا مجدَّدًا عندما كُنّا نخدمُ العدوّ. ويُرسي تأكيدُ حبِّه المذهلِ هذا أساسًا من الأمانِ الذي يمكن أن تستند إليه عواطفُنا.

لكنّ ذلك لا يعني أنّ الحياة ستكون سهلة؛ فقد يسيء الناسُ إلينا ويهدّدوننا ويجعلوننا نشعر بأنّنا بلا قيمة، ويحاولون زعزعةَ ثقتِنا بأنفسنا. ويمكن أن تُدَمِّرَها هذه الأشياءُ إنْ لم نُثبِّتْ أنفُسَنا في المسيح. لكنْ عندما نستريحُ في صلاحِ اللهِ الدائم، نحظى بالأمانِ الذي يسمحُ لنا بالتواصل مع الآخَرِين بتفهُّمٍ ومحبّة.

١ فاني كروسبي (ترنيمة متاحة في المجال العام).

٤

النموّ الروحيّ – الرحلة

وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ.
وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ.

— العبرانيين ١٢: ١١

غمرَتي الحنينُ هذا الصباح؛ إنّه شهر فبراير/شباط، موسمُ أزهارِ اللوز. لقد عشتُ معظمَ السنواتِ الثلاثِ الماضيةِ في الأراضي المقدّسة، وكنتُ أستمتعُ بجمالِ أزهارِ اللوزِ كلَّ ربيع. لكنَّني لستُ هناكَ هذا العام، وأشجارُ اللوزِ تُزهرُ مِن دوني.

ليست أزهار اللوز جميلةً فحسب، بل لها رمزيّتُها أيضًا. الشتاء في فلسطين كئيبٌ وَرَطْبٌ وقارِس، وتمتدُّ المناظرُ الطبيعيّةُ الصخريّةُ الجرداءُ في رتابةٍ لامُتَناهية، ثُمَّ فجأةً، تَظهرُ غُصَيناتُ الأوراقِ الطريّةِ مِن اللونَينِ الزهريِّ والأبيضِ لِتُبهِجَ العالم؛ إنّها أشجارُ اللوزِ المُزهِرة. فأحيانًا، تمرُّ حياتي في فصلِ شتاء، حين لا يَفهمُني الناس، ولا أحدَ يبدو أنّه يهتمُّ فعلاً بما أُعانيه، وأشعرُ أنّني مرفوضٌ ووحيدٌ في هذا العالم.

ليست حياةُ المؤمن دائمةَ الهناء، على عكس بعضِ التعاليم الشائعة. فعندما نختارُ اتِّباعَ تعاليمِ يسوع، نتوقَّعُ إتيانَ المصاعب. تأمّلوا بما قاله: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتْبَعْنِي." (لوقا ٩: ٢٣). يرمزُ الصليبُ إلى المعاناة والعار والصعوبة، وعلى الرغم من أنّ يسوع لم يكن يقصد حرفيًّا أن نحمل الصلبانَ الخشبيّة، فإنّه كان يعترف بأنّ اتِّباعَه ينطوي على هذا الخزيِ نفسِه. لا تتعارضُ تعاليمُ المسيح ومثالُه في الخدمةِ مع ميولِنا الطبيعيّةِ فحسب، بل تتسبّبُ أيضًا بازدراءِ الآخَرينَ ورَفضِهم لنا، وربَّما رفَضَنا أفرادُ العائلةِ والأصدقاءُ أيضًا. وتوقّعَ يسوعُ هذا أيضًا إذ قال: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا... وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ" (متّى ١٠: ٣٤، ٣٦).

كيف يبدو هذا عمليًّا؟ وكيف يؤثِّرُ حَمْلُ الصليبِ في حياتنا اليوميَّة؟ وبأيّة وسائل قد نكون مدعوّين للمعاناة؟

تختلفُ الإجاباتُ باختلافِ الأشخاص. فربّما سيقودُ جارُك سيّارتَه عبرَ حديقتِكَ في يومٍ تكونُ فيه الأرضُ مُوحِلةً، مخلّفًا وارءَهُ أخاديدَ كبيرة، أو ربّما سيلومُكَ زميلُكَ في العملِ على خطإٍ ارتكبَهُ

هو وستَفقدُ وظيفتَك، أو ربّما سيؤثّرُ شقيقُكَ في والدَيك لِمَنحِكَ حصّةً أقلَّ من الميراث. وبحسب المكان الذي تعيش فيه، قد تُسجَن بسبب إيمانك.

نستسلم أحيانًا لليأس في خِضَمِّ هذه المعاناة، وعلى الرغم من إدراكنا أنّنا مَدعُوُّونَ لِلألَم في سبيل قضيّةِ المسيح، فإنّ الألم الذي نعيشُه يبدو شديدًا للغَاية بحيثُ لا يمكنُ أن يتحمّلَهُ أيُّ شخص. لكنّنا غالبًا ما ننسى في أوقاتٍ مماثلةٍ أنّ لهذا الألم هدفًا أعمق، ألا وهو صَقْلُ شخصيّتِنا وإعدادُنا لأيّام من الفرح في المستقبل. لذلك قال يعقوب: "اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا" (يعقوب ١: ٢– ٣).

هذا ما يعنيه السيرُ مع المسيح. فإنّ اختبارَ جمالِ التشبُّهِ به في حياتنا يتطلّبُ نموًّا روحيًّا، والنمُوُّ الروحيُّ بِدَورِهِ يتطلّبُ ألمًا. ما مِن طُرقٍ مختصَرةٍ أو بَدائلَ لذلك؛ طريقُ المسيح هو طريقُ الصليب.

ومع ذلك، لدينا وعدُ أزهارِ اللوز؛ فبعدَ أيّامٍ مُوحِشةٍ سيشُقُّ الفرحُ طريقَه، وبعد انقضاءِ مواسمِ الألم سوف نَخرجُ لِنَجِدَ أنّنا أصبحنا أنقياء. ستكونُ الرغباتُ الجَديدةُ والشجاعةُ الحديثةُ والرؤيةُ المتجدّدةُ قوّتَنا الدافعةَ بينما نواصلُ رحلتَنا من الأرضِ إلى السماء.

٥

فهمُ الآخرين

لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟

— كورنثوس الأولى ٤: ٧أ

ليست محطّةٌ مزدحمةٌ في مطارٍ دوليّ إلّا نموذجًا مصغّرًا عن العالم، وإنّني أُحبُّ المنظوراتِ الثقافيّةَ التي تقدّمُها. ففي جُلُوسي عندَ البوّابةِ منتظرًا أن يَحِينَ موعدُ الصعودِ إلى الطائرة، وحَولي عائلةٌ شرقُ أوسطيّة محافظة، وشبّانٌ يتجاذبون أطرافَ الحديثِ باللغة الإسبانيّة، وزوجانِ أوروبيّانِ رصينان، إمّا أن تتعزّزَ أفكاري المسبَقةُ وإمّا أن تتعرّضَ للتحدّي. وإذا كنتُ جالسًا على مسافةٍ قريبةٍ بحيثُ أتبيّنُ ما يُقال، يمكنُني تكوينُ فكرةٍ عن تَصَوُّرِ الأجانبِ للواقع.

في حين تُذكّرنا أوقاتُ المراقبة هذه بالتنوّع الهائل في عالمنا، فإنّها تكشف أيضًا حقيقةً أُخرى تكاد تكون متناقضة: البشر متشابهون بشكلٍ مثيرٍ للدهشة.

سواء كنّا نعيش في خيمة بدويّةٍ أو شقّةٍ علويّة في مانهاتن، نحن بحاجة إلى المحبّة والقبول والأمان، ونحتاج أيضًا إلى أشخاص آخرين. نريد أن نُعبّر عن أنفسنا ونريد أن نعرف الآخرين ونكون معروفين. نحن جميعًا متشابهون.

لكن، نحن مختلفون أيضًا. فالله الذي أوجدَتْ كلمتُه المبدِعَة كلًّا من الصحاري والغابات المطيرة هو الله نفسه الذي كان مسروراً بالتنوّع عندما خلق البشر. لا نأتي إلى هذا العالم متمتّعين باختلافاتٍ جسديّةٍ فحسب، بل بمواهبَ وطِباعٍ مختلفةٍ أيضًا. علاوةً على ذلك، منذ ولادتنا فصاعدًا، تتكوّن شخصيّاتُنا بحسب بيئاتِنا الفريدةِ وعائلاتِنا ومجتمعاتِنا وثقافتِنا وتعليمِنا وأوضاعِنا الماليّة.

عندما نراقب أفعال الآخرين، يدفعنا ميلُنا الإنسانيّ إلى افتراض أنَّ دوافعهم هي الدوافع نفسها التي ستكون لدينا لو تصرّفنا بالطريقة

ذاتها، لكنّ هذا الافتراض هو أساسٌ مغلوطٌ لفهم الآخرين. إنَّ دوافع الشخص تتأثّر بكلٍّ من الشخصيّةِ والخلفيّة، ويمكنُ أن تَنتجَ أفعالٌ متماثلةٌ عن دوافعَ مختلفةٍ جدًّا.

فلماذا نفترض التشابه؟ لماذا نفسّر بسرعةٍ سلوكَ الآخر انطلاقًا من تقصيرنا؟ السبب هو أنّنا متشابهون إلى حدٍّ بعيدٍ من نواحٍ كثيرة. نحزن جميعُنا بسبب الموت، ونتجنّبُ الألم، ونخشى المرض، ونحمي مصالحَنا الشخصيّة. وكذلك، نحبُّ جميعًا الطعامَ الجيّدَ والملابسَ المريحةَ والأصدقاءَ المتفهّمين وغروبَ الشمسِ الجميل.

إنّ هذا التناقضَ الظاهريَّ بالتحديد – أي أنّنا متشابهون بشكلٍ مدهش وفي الوقت عينه مختلفون أيضًا بشكلٍ مدهش – هو الذي يولِّد توتُّرًا في العلاقات الإنسانيّة. فنشعر بالإهانة عندما لا يقصد الآخرون الإساءة إلينا، ونسيء إلى الآخرين عندما لا نقصد ذلك، ونعجزُ عن فهم مدى اختلاف طريقة تفكير الآخرين عن طريقة تفكيرنا، ويعجز الآخرون عن رؤية مدى تشابُهِ رغباتِنا مع رغباتهم.

يُشكّلُ تعلُّمُ كيفيّةِ فَهمِ الآخَرينَ أساسَ التغلّبِ على الصعوبات التي يُدخِلونها إلى حياتنا. عاينِ الشخصَ الذي صدرت عنه الإساءة: ما هي الظروف المستمرّةُ التي يمرّ بها هذا الشخص؟ ما هي العوامل المتعلّقة بخلفيّتِه/خلفيّتِها التي قد تسبّب هذا السلوك؟ والأهمُّ مِن ذلك، كيف يمكنُ أن يكون لنا تأثيرٌ إيجابيٌّ عليه أو عليها؟

عندما نتعامل مع النزاعات برغبةٍ صادقة في أن نَفهمَ الآخَرينَ بالفعل، فإنّنا نسيرُ في الطريق المؤدّي إلى حلِّ تلك النزاعات.

٦

النزاع

لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ، فَهَذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ.

— ١بطرس ٢: ٢٠

فيما أكتب هذه الكلمات، تخوض سوريا حربًا أهليَّة، وتشنّ إيران وإسرائيل معركةً سريّةً ذاتَ تداعياتٍ نوويّة، وتسود النزاعاتُ الداخليّةُ دولًا عدّةً كَلُبنانَ وتركيا وأوكرانيا وجنوبِ السودان، وتنتهي كلَّ يومٍ في الولاياتِ المتّحدةِ الأميركيّةِ مئاتُ الزيجاتِ بالطلاق.

نحن نعيش في عالمٍ مليء بالنزاعات، ولا تنشأُ النزاعاتُ بين الأعداء المُعلَنين فحسب، بل بين أفراد الأُسرةِ والأصدقاءِ المقرَّبينَ أيضًا. فإنّ أنانيتَنا الفطريّةَ تُوفِّرُ فُرَصًا لا تُعدُّ ولا تُحصى للصدام مع الآخَرينَ الذين هم أيضًا أنانيّون بطبيعتِهم. ويمكن أن تكونَ هذه النزاعاتُ متعدّدةَ الأوجُهِ ومعقَّدة، وقد تُغذّيها عواملُ خبيثةٌ مثل الكراهية والكبرياء، أو عواملُ بريئةٌ مثل سوءِ التفاهم والاختلافات في الشخصيّات.[١]

---

١ جون كوبلنتز، *Getting Along with People God's Way* (ما ترجمته

عندما نكون في خِضَمِّ صراعٍ ما، من المهمّ أن نحلّلَ دائمًا أنفسَنا أولاً. ما الذي قمنا به واعتبره الآخرون مهينًا؟ لمَ نتصرَّف بهذه الطريقة؟ هل ثمّةَ مشاكلُ جَذْريّةٌ تتعلّقُ بالكبرياءِ وانعدام الأمان في حياتِنا الخاصّة، ونحتاجُ إلى معالجتِها؟ كيف زِدنا النزاعَ سوءًا؟ ما الذي يمكنُنا أن نفعلَه لمعالجة المشكلة على نحوٍ أفضل؟

بوُسعِنا أن نحلَّ الكثيرَ من المشاكل عبرَ مواجهةِ النزاعِ مع رغبةٍ في حلّه، بَدَلًا مِن مجرّدِ إلْقاءِ اللوم على الطرف الآخَر. ويتطلّب ذلك عادةً التواصلَ المفتوح، حيث نَسمح للأطراف الأُخرى بالتعبير عن أنفسهم من دون أيّ مقاطعة، ونحاول أن نرى الوضع من وجهة نظرهم. ثمّ نكون على استعداد لقول عبارات مثل: لقد كنتُ مخطئًا، وأنا آسف، وأرجوك سامحني.

ومع ذلك، سنواجه أحيانًا نزاعاتٍ لم نتسبّبْ نحن بها ونكون عاجزين عن حلّها. فإنّ القول المأثور القديم "يتطلّب الشجارُ طرفَين" لا يعالج ما يَحدُثُ عندما يقاتل شخصٌ واحد ويمتنع الشخصُ الآخر عن ذلك. يستغلّ الناسُ الأشخاصَ الأبرياء

"التوافق مع الآخرين على طريقة الله") (هاريسونبورغ، فرجينيا: منشورات كريستيان لايت، إنكوربوريتد، ٢٠٠٨)، الصفحات ١٢٣ و١٢٨ و١٣٢.

ويسيئون معاملتهم، وفي بعض الأحيان، إنّ أولئك الذين يبدو أنّهم أقلُّ مَن يستحقُّ المعاملةَ القاسيةَ وغيرَ العادلة، يتلقَّون أكبرَ قَدْرٍ منها. ولكنْ حتّى عندما نُعاني مِن دونِ وجهِ حَقّ، من الممكن أن نكون مُخلِصين لأوامر الله وشريعة المحبّة.

سنركّز في القسم المتبقّي من هذا الكتيّب على الصعوبات التي يواجهها الأشخاص الأبرياء. كيف تُساء معاملتُهم؟ وما الذي يحفّزُ السلوكَ المسيء؟ وكيف يستجيب أتباعُ المسيح؟ وهل يمكن للخير أن يَنتجَ عن الألم الذي يسبّبه الآخرون في حياتنا؟

٧

كيف يجعل الآخرون الحياةَ صعبة؟

وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزْءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضًا وَحَبْسٍ؛ رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ؛ (وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ) تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ.

— العبرانيين ١١: ٣٦-٣٨

بعدَ أقلَّ مِن ثلاثِمئةِ عامٍ على موتِ يسوعَ وقيامتِه، سَمِعَ شابٌّ يدعى ماكسيميليان، مِن أُمّةِ نوميديا في شمال إفريقيا، رسالةَ الإنجيلِ واستجابَ لها. وقرأ كلماتِ يسوعَ عن المحبّةِ والمغفرة، وصمّمَ على اتّباع تعاليم ربّه.

كان ماكسيميليانُ في الحادية والعشرينَ مِن عمرِه عندما جُنِّد للانضمامِ إلى الجيش الرومانيّ. فقد وقف بشجاعة أمام الحاكم رافضًا الانضمام إلى الجيش وأوضح قائلاً: "لا أستطيع القيام بذلك لأنّني مسيحيّ."

وعندما عارضه الحاكمُ قائلاً إنّ مسيحيّين آخَرِينَ قد خدموا في الجيش، أجاب ماكسيميليان: "إنّهم يعرفون ما هو مناسبٌ لهم، أمّا أنا فأعرف ما يريد المسيحُ منّي أن أفعل." وبعد أن أدرك الحاكم أنّ

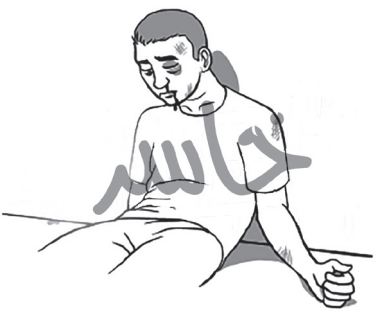

الإقناع لن يُغيّر رأي ماكسيميليان، أصدر حكمًا بحقّه. فقد قُطِع رأسُه وهو في الحادية والعشرين بسبب ولائه لأوامر المسيح.[١]

منذُ دخولِ الخطيَّةِ إلى هذا العالمِ والأبرياءُ يعانُونَ على أيدِي الآخَرين. فلو أعدَدْنا قائمةً بالأساليب التي استُعملَتْ لتعذيبِ هؤلاء الأشخاصِ لملأت مجلّداتٍ من الكتب، ويمكن أن يسمّى الكتابُ المقدّسُ نفسُه "كتاب المعاناة". فقد قُتل هابيل بسببِ حسدِ أخيه، وحصل إبراهيمُ على أرضٍ فقيرةٍ لأنّ الأنانيةَ ملأَتْ قلبَ ابنِ أخيه، وخَسِرَ إسحقُ الآبارَ التي حفرَها بسبب جَشَعِ عَدُوِّه، وَبِيعَ يوسفُ في سوقِ النخاسة على أيدي إخوتِه الغيورين. يمكنُنا أن نُضيفَ الكثيرَ مِنَ الأمثلةِ مِن سِفرِ التكوينِ وحدَه! الخلاصةُ أنَّ التاريخَ البشريَّ حافِلٌ بالأذى الذي يسبّبُه بعضُ الناسِ للبعضِ الآخَر.

يمكن عمومًا تقسيمُ أنواعِ المعاناةِ التي يُلحِقُها الأشخاصُ بالآخَرِينَ إلى فئتَين: النفسيّة والجسديّة، وغالبًا ما ينطوي السلوكُ المسيءُ على عناصر مِن كِلا الفئتَين. ففيما نستعدُّ للمضيِّ قُدُمًا

١ إليزابيث هيرشبرغر بومان، *Coals of Fire* (ما ترجمته "جمر النار") (سكوتديل، بنسلفانيا: دار نشر هيرالد، ١٩٩٤)، ص ٢٩.

في دراستنا، من المفيد أن نفكّر قليلاً في الأساليب المحدَّدة التي يعاني بها الأبرياء. اُنظر القوائم أدناه.

يحاول "**الإيذاء النفسيّ**" تدميرَ معنويّات الشخص، وقد يشمل ما يلي، على سبيل المثال لا الحصر:

- **السخرية:** "فيمَ تفكر؟ كيف يمكنك فعل ذلك بهذه الطريقة؟"
- **الافتراء:** "أنت أكثرُ شخصٍ جَهلاً أعرفُه".
- **الترهيب:** "إذا فعلت _____، فسأقوم _____."
- **الانتقاد:** "لمَ لا يمكنك أن تفعلَ أيَّ شيءٍ بشكلٍ صحيح؟"[٢]
- **الرفض:** "كلّا، أنا حقًّا لا أظنُّ أنّه سيكون مُرحَّبًا بك في الحفلة."
- **التّهكُّم:** "اُنظُروا جميعًا كيف يلعب _____ الكرة الطائرة. لا يمكنُه حتّى ضربُها!"
- **اللوم:** "إنّ هذا خطؤك. لولاك لما حدث هذا أبدًا!"
- **الإتّهاماتُ الباطلة:** اِتّهام الآخَرِينَ بأشياءَ مِنَ المُسلَّمِ أنّها غيرُ صحيحة.
- **التجنّب:** تجنُّبُ الْتقاءِ العُيونِ والحديثِ وأيِّ نوعٍ من التفاعل.

---

٢ سايمون شروك، *Don't Throw in the Towel* (ما ترجمته "لا تستسلم") (هاريسونبورغ، فرجينيا: دار فيجين بابليشيرز، ٢٠٠٣)، ص ٤٨.

لغايات هذه المناقشة، أستخدم مصطلح "**الإيذاء الجسديّ**" الذي به أُشيرُ إلى كلّ ما يتجاوزُ المجالَ اللفظيَّ وغيرَ الملموس. تَرِدُ بعضُ الأمثلة أدناه:

- **المطاردة:** كلّ ما هو غير مرغوبٍ فيه من اهتمامٍ ومكالَماتٍ هاتفيّةٍ ورسائلَ إلكترونيّةٍ وتهديدات
- **تدمير الممتلكات:** الرسم على الجدران والتخريب المتعمّد
- **أعمال الشغب:** الحشود غير المنضبطة، والمطالب غير العقلانيّة، والقنابل الحارقة
- **تزوير الهُوِيّة:** انتحالُ هُوِيّةِ شخصٍ آخَرَ لتحقيقِ مكاسبَ ماليّة
- **الإعتداءُ الجنسيّ:** الإعتداءُ على شخصٍ آخَرَ لإشباعِ المتعةِ الجنسيّةِ الشخصيّة
- **السرقة:** أخذُ ما يملكُه شخصٌ آخَرُ مِن دونِ الحصولِ على موافقتِه
- **السجن المُجحِف:** سَجنُ شخصٍ بريء
- **الأذى الجسديّ:** الرجمُ والضربُ والبَتْرُ والإحراق
- **القتل:** سَلْبُ روحِ شخصٍ ما

في بعض الأحيان، تبدو إساءةُ المعاملة عشوائيّةً وكأنّها تحدث من دون أيّ سبب على الإطلاق، ولكن هل هي حقًّا كذلك؟ هل يعاني الأشخاصُ الأبرياء على أيدي الآخرين من دون أيّ سبب على الإطلاق؟ ولماذا يجعل الناسُ حياتَنا صعبةً على أيّ حال؟

٨

لماذا يجعل الآخرون الحياةَ صعبة؟

وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَّطُ الْحُورُونِيُّ وَطُوبِيَّا الْعَبْدُ الْعَمُّونِيُّ سَاءَهُمَا مَسَاءَةً عَظِيمَةً لأَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَطْلُبُ خَيْرًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ... وَكَانَ طُوبِيَّا الْعَمُّونِيُّ بِجَانِبِهِ فَقَالَ: إِنَّ مَا يَبْنُونَهُ إِذَا صَعِدَ ثَعْلَبٌ فَإِنَّهُ يَهْدِمُ حِجَارَةَ حَائِطِهِمِ.

— نحميا ٢: ١٠؛ ٤: ٣

قصَّةُ نحميا روايةٌ مشوّقةٌ عن الأبرياءِ الذين يواجهون معارضةً لا مبرّرَ لها، وتعطينا لمحةً عن بعض الأسباب التي تجعل الأشخاصَ العاديّين يواجهون بعضَ المشاكل غيرِ الاعتياديّةِ عندَ التعامل مع الآخَرين.

تشكّلُ أنواعُ المعارضةِ التي تعرّضَ لها نحميا ورجالُه مِن قِبَلِ سنبلّط وطوبيا وجماعتِهما نموذجًا للأساليب التي يسيء بها الأشخاصُ معاملةَ الآخرين. لجأ سنبلّط وطوبيا إلى الاستهزاء والادّعاءات الباطلة، ولم يسخروا بقوّة الأسوار فحسب مؤكّدِينَ أنّ ثعلبًا يمكنُه هدمُها، بل اتّهموا اليهودَ أيضًا بالتآمُرِ ضدَّ الملك (نحميا ٢: ١٩؛ ٤: ٢؛ ٦: ٢).[١] ما الذي دفع سنبلّط وأتباعَه إلى

١ سايمون شروك، *Don't Throw in the Towel* (ما ترجمته "لا تستسلم")، ص. ٢٨.

معاملة نحميا بهذه الطريقة؟ انطلاقًا من التمعّنِ في القصّة والقراءة بين السطور، يمكننا استنتاج مسائل عدّة.

- **لقد كانوا خائفين:** أشارت عودةُ نحميا وشعبِه إلى أنّه يمكن تغييرُ هيكليّةِ السلطة القائمة آنذاك. لقد خَشِيَ سنبلّطُ ورجالُه فُقدانَ مكانتِهم في المجتمع.
- **لقد كانوا غيورين:** كان تضامنُ نحميا مع رجاله، وتأييدُ الملك لمهمّتِهم، وسرعتُهم في العمل، تُعَدُّ بركاتٍ عظيمة. فقد كانت مشاعرُ الغيرة تنتاب كلّ من لاحظ هذا المزيج من النِّعم.
- **لقد كانوا متحيِّزين:** كان التحيّزُ ضدّ الشعب اليهوديّ يكمن وراء كلّ شيء. في الإشارة الأولى إلى سنبلّط وطوبيا، قيل لنا: "سَاءَهُمَا مَسَاءَةً عَظِيمَةً لأَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَطْلُبُ خَيْرًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (نحميا ٢: ١٠).

أخفَتِ الأساليبُ التي عامل بها هؤلاء الرجالُ نحميا ورجالَه أسبابَ عداوتهم الحقيقيّة؛ فقد حاولوا إخفاءَ خوفِهم وغيرتِهم وتحيُّزِهم بإطلاق الاتّهامات الباطلة والاستهزاء. وعلى مرّ التاريخ، حاول البشرُ إخفاءَ عيوبهم بتعذيب الآخرين. فالسلوك المسيءُ هو أحد الأعراض، أمّا الصراع الداخليّ فهو السبب.

ربّما لا نعرفُ في بعضِ الأحيانِ سببَ سُوءِ معاملةِ الأشخاصِ لنا، ولكنْ علينا أن نسعى إلى معرفة السبب، لأنّنا متى عرفناهُ تمكّنّا من القيام بردّةِ الفعل الصحيحة، وعَمِلْنا على التوصُّلِ إلى حلّ. تُعدّ دوافع أعداء نحميا – الخوف والغيرة والتحيُّز – مِن أسباب السلوك الخبيث الشائعة. لنتأمّلْ أدناه بعضَ الأسباب الإضافيّة التي تجعل الأشخاص قُساةً ومُسيئين:

- **الدونيّة:** عندما تصبح سمعةُ المرءِ ومكانتُه هي الأهمّ، يحاولُ غالبًا رفعَ شأنِه عبرَ الحطِّ مِن قَدْرِ الآخَرين، فتكونُ النتيجةُ الافتراءَ والاتّهاماتِ الباطلةَ وجميعَ أنواعِ السلوكيّاتِ السيّئةِ الأُخرى.
- **الشعور بالذنب:** قد يشعرُ المرءُ بالذنبِ وبتأنيبِ الضمير، بسببِ نمطِ حياةِ الآخَرِ أو تعاليمِه. فبدلًا من معالجةِ المشكلةِ مِن جذورِها، قد يُحوِّلُ الشخصُ المذنبُ اضطراباتِه الداخليّةَ إلى كُرْهٍ تجاهَ الشخصِ الذي يلومُه على إثارةِ مشاعرِ الذنبِ فيه.
- **الجشع:** تصبحُ الرغبةُ في الثراء لدى بعضِ الأشخاصِ هاجسًا يستحوذُ على الاهتمام كلّه، فلا يهمُّهم إنْ تطلّبَ

مسعاهم سحقَ الآخَرين، ولا يُبالُونَ أيضًا إنِ اضطرّوا إلى الكذبِ والاِستيلاءِ على ما ليس مِن حقِّهم. فبحسبِ وجهةِ نظرِهم، الغايةُ تبرّرُ الوسيلة.

- **المعتقدات الدّينيَّة:** على مرّ القرون، تعرّض الأشخاصُ للاِضطهادِ باسمِ الدِّين. وبعضُ الأديانِ ينطوي على تعاليمَ تُوعِزُ باضطِهادِ ذَوِي الإيمانِ المختلف، إلّا أنّ الاِضطهاداتِ غالبًا ما تنشأُ عن مآربَ أُخرى متّخذةً الدِّينَ غطاءً. فالمضطهِدونَ يبرّرونَ تصرُّفَهم على أنّه محاولةٌ للقضاءِ على المعتقداتِ الدّينيّةِ الزائفة، والحقيقةُ أنّهم يقاتلونَ مِن أجلِ السيطرة. وكم من المضطهِدينَ باسمِ الدِّين، نَراهُم منشغلينَ بالسلطةِ أكثرَ مِمّا يهتمّون بالدِّين.

- **السياسة:** في السياسة، غالبًا ما تتماهى مواقفُ الشخصِ مع انتمائِه الحزبيّ؛ فمن السهل أن يُعَدَّ الهجومُ على موقفِ المرءِ أو حزبِهِ هجومًا شخصيًّا نابعًا من ردّةِ فعلٍ غاضبة. حتّى الأشخاصُ الرافضون الاِنخراطَ في السياسةِ يتعرّضونَ أحيانًا لغضبِ الملتزِمينَ سياسيًّا. وهُنا نرى أنّ الولاءَ السياسيَّ قد يكونُ مصدراً للسلوك غيرِ العقلانيّ والمسيء.

- **المرارة:** تبدأ المرارةُ عندما يسمح المرءُ للحزنِ الناجمِ عن مأساةٍ أو ظُلمٍ بأن يستشريَ في ذِهنِه. ومع مرور الوقت، يوجّه الشخصُ ألمَ التجربةِ نحو فردٍ آخَرَ أو مجموعة، وإذ تتفاقمُ المرارة، يبدأ بالتفكير بالاِنتقامِ من أشخاصٍ لا

علاقةَ لهم بتجربتِه الأليمة. فلا عجب أنّ كاتِبَ الرسالةِ إلى العبرانيّين قال ما يلي: "مُلاحَظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ. لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ" (العبرانيين ١٢: ١٥).

- **الملل:** للأسف، يلعبُ الملَلُ في بعض الأحيانِ دوراً في السلوك المسيء. فالقولُ المأثور "العقلُ الفارغُ معملٌ للشيطان" هو أكثرُ مِن مجرَّدِ مَثَلٍ نسمعُه في الطفولة. عندما لا يكون لدى العقول التي تلقّت تدريبًا على يد مجتمعٍ ملحدٍ سوى القليلِ للقيامِ به، فإنّها سرعانَ ما تبتكرُ أعمالاً مؤذيةً ومؤلمة.
- **الإساءة الماضية:** غالبًا ما يكونُ الأشخاصُ الذين يُؤذُونَ الآخَرين قد تعرّضوا مِن قَبْلُ للأذى. وإذْ يتصرّفون انطلاقًا من صدماتهم الشخصيّة، يبدو أنّهم غيرُ قادرِينَ على التواصلِ إلّا بِطُرُقٍ مسيئة.

قد يكون الدافعُ لدى الناس متعلّقًا بعددٍ من العواملِ المذكورةِ أعلاه، أو عواملَ أخرى مختلفةٍ تمامًا. فبينما نحاول فهم أولئك الذين يسيئون معاملتنا، قد يُفيدُنا أن نعرف عن التجارب المؤلمة التي قد تكون الدافعَ وراء أفعالهم. وإلى جانب إدراك سبب تصرّفات الأشخاص بطرقٍ معيّنة، ينبغي أن نفهم مسألةً أكثر أهمّيّةً: نحن في حرب.

٩

الحرب الرّوحيَّة

فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.

— أفسس ٦: ١٢

تُمثّلُ مأساةُ أيّوبَ حكايةً كلاسيكيّةً عن المصائب. فبينَ ليلةٍ وضُحاها، انحدرَ أيّوبُ مِن رجلٍ ثريٍّ ذي شأن إلى رجلٍ فقيرٍ رَثِّ الملابس، ومِن رجلٍ حكيمٍ محترَمٍ إلى رجلٍ وحيدٍ مُحتقَر. لقد حلَّ محلّ الصحّةِ والطمأنينةِ البؤسُ والمرض، وأصبح أصدقاؤه السابقون مضطهِديه.

لكنّ سلسلة مآسي أيوب ليست القصّةَ الكاملة؛ فلا فائدةَ مِن معرفة ما عاناه أيّوبُ إن لم نعرف ما وراء هذه القصة. ما الذي افتتح هذه السلسلة من الأحداث المؤلمة؟

لقد قيل لنا إنّ بُؤسَ أيّوبَ بدأ بمحادثةٍ في السماء، وإنّه مِن صنع الشيطان، إنّما بسماحٍ من الله. فالشيطان نفسه هو من أضرَّ بصحّةِ أيّوب: "فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ" (أيوب ٢: ٧).

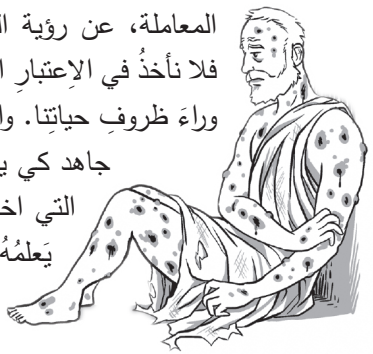

غالبًا ما نعجزُ، في غَمرةِ ما نتعرّضُ لَهُ من سُوءِ المعاملة، عن رؤية الجانب الروحيّ من الصراع، فلا نأخذُ في الاعتبارِ الحربَ غيرَ المرئيّةِ التي تكمُنُ وراءَ ظروفِ حياتِنا. واجه أيّوبُ المشكلةَ عينَها؛ فقد جاهد كي يوفّقَ بين صلاحِ اللهِ والأهوالِ التي اختبرَها. لكنْ، ما لم يَكُنْ أيّوبُ يَعلمُهُ هو أنّ عَدُوَّهُ الأكبرَ الشيطانَ، كان يفعلُ كلَّ ما في وُسْعِهِ لِيَقضيَ على إخلاصِه لله.

لا يزال الشيطانُ يستخدمُ التكتيكاتِ نفسَها ضِدَّنا اليوم. يقولُ بطرس: "اُصْحُوا وَاسْهَرُوا لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ..." (١بطرس ٥: ٨). لاحظ كم يبدو ذلك شبيهًا بعادات الشيطان في زمانِ أيّوب: "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: 'مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟' فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: 'مِنَ الْجَوْلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا'" (أيوب ٢: ٢).

لا يزالُ الشيطانُ يجوبُ الأرضَ، تتملّكُهُ رغبةٌ في ابتلاعِ كلِّ مَن يستطيعُ ابتلاعَه. إنّه لا يركّزُ على الناسِ الغارقِينَ في دَياجيرِ الخطيَّة، لأنّهم في قبضتِه بالفعل، بل يَتُوقُ إلى تدميرِ المؤمنين الذين رَفعوا مُحَيّاهُم نحوَ السماء. وفي هذا المسعى، يستخدمُ الشيطانُ أحيانًا الآخَرِينَ ويحفِّزُ جنودَهُ على التسبُّبِ بالخرابِ لأتباعِ الله.[١]

١ سايمون شروك، *Don't Throw in the Towel* (ما ترجمته "لا تستسلم")، ص. ٢٨.

مِنَ المهمِّ أن نتذكّر أنّ الحياةَ الروحيّةَ هي حقًّا حربٌ. وعلى الرّغم من أنّ الجار في المنزل المجاور قد يبدو وكأنّه العدوّ، فإنّ العدوّ الحقيقيّ هو الشيطان عينه.

١٠

أعمال السلام

طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ.

— متّى ٥: ٩

كان پيتر ميلير رجلاً مثقّفًا قد تركَ الكنيسةَ المُصلَحَة لِيَنضمَّ إلى جماعة دير إفراتا قُبَيلَ الحربِ الثوريّةِ الأميركيّة. وعندَ اتّخاذِه هذه الخطوة، انقلبَ عليه مايكل ويدمان، أحدُ قادةِ الكنيسة المُصلَحَة، وحوّلَ حياتَه إلى بؤس. فكُلّما التقَيا، كان ويدمان يَبصقُ في وجه پيتر.

وفي أثناء الحرب، اشتُبه بخيانة مايكل ويدمان، وتلقّى أمراً بالمثول أمامَ محكمةٍ عسكريّة. وعندما سمع پيتر ميلير هذا الخبر، انطلق مسرعًا إلى ڤالي فورج حيث سار أكثر من خمسين ميلاً عبر الثلوج. ووصل مباشرةً بعد أن كانت المحكمة قد أثبتت إدانة ويدمان وحكمت عليه بالإعدام شنقًا. كان پيتر على معرفة بالضابط المسؤول، الجنرال جورج واشنطن، فتوسّل إليه من أجل إنقاذ حياة ويدمان. استمع الجنرال واشنطن باحترام

إلى طلب بيتر، لكنّه أَعلمَهُ في النهاية أنّه لا يستطيعُ إطلاقَ سراحِ صديقِه. وسرعان ما اعترض بيتر عند سماعه كلمة صديق، فهتف متعجبًا: "صديق! إنه ألدّ أعدائي ولا ينفكُّ يشتمُني. ما كنتُ لألحَّ عليكَ مِن أجلِ صديق، لكنْ بما أنّ ويدمان كان منذُ سنواتٍ ولا يَزالُ ألدَّ أعدائي وخصمي الخبيثَ الذي يضطهدُني، فإنّ ديني يعلّمُني أنْ أُصلّيَ مِن أجل الذين يُسيئون إليّ."

بحسب الرواية، تأثّر الجنرال واشنطن بهذا الطلب المجرّد من الأنانيّة، لدرجة أنه عَدَلَ عن قرارِهِ وعفا عن مايكل ويدمان.[١، ٢]

---

١ الدكتور جون پالو، *The Day Washington Cried* (ما ترجمته "يوم بكى واشنطن")، *The Rosicrucian Digest* (ما ترجمته "فهم الصليب الوردي")، أغسطس/ آب ١٩٦٢، http://rosicrucian.50webs.com/various/pa-lo-day-washington-cried.htm>، تم الوصول إليه بتاريخ ١٥ مارس/آذار ٢٠١٢.

٢ ج. ك. فينغر، *The Way of Peace* (ما ترجمته "طريق السلام")

أظهر بيتر ميلير بأفعاله أنّه جادٌّ في اتّباعِ طريقِ السلامِ الكتابيّ؛ فقد عكستِ المحبّةُ التي أظهرها تجاه عدوّه محبّةَ سيّدِه. توضّحُ تعاليمُ الكتابِ المقدّسِ أنّ الله يريدُ مِنّا أن نسعى إلى السلام (المزامير ٣٤: ١٤؛ ١بطرس ٣: ١١)، وينطوي السلامُ على العمل! ففي حين أنّه مِنَ المغري أن نتجنّبَ ببساطةٍ أولئك الذين يُضايقوننا، إلّا أنّ هذا السلوكَ ليس ما يَدعونا إليه الله، بل إنّه يَدعونا إلى العمل لمواجهةِ الكراهية بالمحبّة.

تشرحُ آياتُ الكتابِ المقدّسِ التاليةُ كيف يَتِمُّ ذلك. لاحظِ الكلماتِ الكثيرةَ التي تدعو المؤمنَ إلى العمل [تمّ التشديد عليها]:

- "**أَحِبُّوا** أَعْدَاءَكُمْ. **بَارِكُوا** لاَعِنِيكُمْ. **أَحْسِنُوا** إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَ**صَلُّوا** لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متّى ٥: ٤٤)
- "وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ **فَاتْرُكْ لَهُ** الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا **فَاذْهَبْ** مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ **فَأَعْطِهِ** وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ **فَلاَ تَرُدَّهُ**" (متّى ٥: ٤٠– ٤٢)
- "لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية ١٢: ٢١)

عندما نلتزم بالاستجاباتِ الموجودة في الكتابِ المقدّس، سنبحثُ عن وسائلَ نُحِبُّ بها خُصومَنا ونُباركُهم. سنتشفّع لهم في الصلاة، ونفعلُ لهم ما يبدو غيرَ معقول، ونُعطيهم ما لا يستحقّونه، ونمتثلُ للمَطالبِ غيرِ المنطقيّة، ونَمنحُهم المغفرةَ حتّى عندما لا يلتمسونَها منّا

(إلخارت، إنديانا: مجلس البعثات المينونية، ١٩٧٧)، ص. ٣٨.

وسوف ننتصر؛ سننتصر على الشرّ الذي ينصبونَهُ لنا بالخير الذي نَصنعُه. يَزخَرُ التاريخُ بِقِصصِ رجالٍ ونساءٍ أَحبَطوا مؤامراتِ أعدائهم بإغداقِ الخيرِ عليهم؛ فإنّ شعورَ أعدائهم بالذنبِ والدهشة إزاءَ هذا السلوكِ غيرِ المتوقَّع، غالبًا ما بدّدَ ضَغائنَهم.

ليست أعمالُ السلام سهلة، كما أنّها لا تُجازى دائمًا بالأساليب التي نَأمُلُها. ففي بعض الأحيان، يأتي الجزاءُ لاحقًا بعدَ سنواتٍ عِدّة، ومع ذلك، تبقى أعمالُ السلامِ مهمّةً لأسبابٍ كثيرة:

- تسيرُ في خُطى المخلّصِ الذي غفرَ لأعدائه وباركهم.
- تُوفّرُ مَنفَذًا إيجابيًّا للمشاعرِ التي يمكن أن تتحوّل إلى مرارة.
- تذكّرُنا بأنّنا اخترنا اتّباعَ الإستجابةِ الكتابيّةِ للردّ على الشرّ.
- تساعدُ أعداءنا على رؤيةِ جِدّيّةِ التزامِنا بالمسيح.
- تُظهِرُ لأعدائِنا أنّنا نحبُّهم بِصِدقٍ ونَهتمُّ لأمرِهم.
- تَجعلُ أعداءنا يشعرون بالإدانة.
- تُعلِنُ للعالَمِ بِوُضوحٍ أنّ ملكوتَ اللهِ يَسيرُ وَفْقَ مبادئَ مختلفةٍ عن مبادئِ مملكةِ هذا العالم.

إذًا، اِعتَقِدُوا العزمَ على مواجهةِ الأشخاصِ صَعبِي المِراسِ في حياتِكم، عبرَ أعمالِ السلام.

١١

تبادل الرحمة

لَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.

— رومية ٥: ٨

قبلَ سنواتٍ عِدّة، قُتلَ الابنُ الوحيدُ لأبٍ مسيحيٍّ كُوريٍّ على يَدِ شابٍّ شرّير. وفيما كان القاضي على وَشْكِ إصدارِ الحُكم على القاتل، طلبَ والدُ الابنِ الذي لَقِيَ حَتْفَهُ الإذنَ بالكلام، وقالَ إنَّ تنفيذَ الحُكم لن يُعيدَ إليهِ ابنَه المقتول. ثُمَّ طلبَ من القاضي السماحَ لَهُ بِتَبنّي الشابِّ الذي قتلَ ابنَه، بما أنّه صارَ بِلا وَلَد. سادَ الصمتُ في قاعةِ المحكمةِ عَقِبَ هذا الطلبِ غيرِ الاعتياديّ، وفي النهايةِ وافقَ القاضي على الطلب، وانتشرت قصّةُ ما صنعَهُ هذا الأبُ في أنحاءِ كوريا كلِّها.[١]

كيف استطاع الأبُ الكوريُّ أن يفعلَ شيئًا متطرّفًا إلى هذا الحدّ؟ كيف استطاع التغاضيَ عن الشرِّ في حياةِ القاتل ومنحَه المحبّةَ والفرصةَ والمغفرة؟ هل رأى شيئًا في القاتلِ عَجِزَ الجميعُ عن رؤيتِه؟

---

١ ج. ك. فينغر، ص. ٦.

أَظُنُّ أنَّ سِرَّ الأَبِ هو أنّه اعتبرَ نفسَه شخصًا غيرَ جديرٍ برحمة الله. كان يُدرك معنى الحصول على المغفرة، ليس بفضل أعماله، إنّما على الرغم منها. فعلى غرارِ المرأةِ التي مَسَحَتْ قدمَي يسوع، أحبّ هذا الرجلُ كثيراً لأنّه فهم مقدار المغفرة التي مُنِحَت له (لوقا ٧: ٤٧). ولأنّه استوعب أيضًا الرحمة التي مُنحَت له، استطاع أن يمنح الرحمةَ نفسَها إلى شخصٍ آخر.

ينبغي أن نعيش جميعًا في ضوء رحمةِ الله. ربّما لم نَقتُلْ لكنّنا كَرِهْنا، وبالتالي خالَفْنا ناموسَ الله، وعقوبتُنا العادلةُ هي الموت. عندما كان محكومًا علينا بالموت، عرضَ أحدٌ أن يتبنّانا فيدعُوَنا أولادَ الله (يوحنا ١: ١٢). ورأى الله الإمكاناتِ في الأرواح التي سحقَتْها الخطيَّةُ وحطّمتْها، فمنح فرصةَ الفداء.

جلس رسّامٌ مرّةً بجانب نافذة الاستوديو الخاص به، ورسم وجهَ متسوّلٍ كان يجلس في الشارع المقابل. وفيما كان الفنّانُ يَعملُ على لوحتِه، أجرى بعض التعديلات على شكل المتسوّل. فقد غيّر عينَيه الباهتتَينِ والمرهقتَينِ إلى عينَينِ لامعتَينِ ومُشرِقتَين، وشدّ

بشرةَ وجهه ليمنحه نظرةً تُوحي بالعزم. وعندما أنهى رسمته، دعا المتسوّل ليدخل ويرى اللوحة. لم يتعرّف المتسوّل في البداية على الوجه، ثُمّ سأل: "هل هذا أنا؟ هل يمكن أن يكون أنا؟" فأجاب الرسّام قائلاً: "هكذا أراك أنا." فاعتدلَ المتسوّلُ في وِقفتِه، وقال للفنّان إنّه إنْ كان هذا ما رآه الفنّانُ فيه، فهذا هو الرجل الذي سيكون عليه.[٢]

من خلال رؤيةِ الإمكانات في حياةٍ محطّمة، قدّمَ الفنّانُ للمتسوّلِ هديّةً غيّرَتْ حياتَه، ونحن لدينا الفرصة أيضًا لتقديم هدايا مماثلة للآخرين. فعبرَ مَنح المحبّةِ غيرِ المستحَقّة، نسير على خطى يسوع الذي منحنا هذا النوع من المحبّة. وفيما نفعل ذلك، نؤكّدُ فعاليّةَ قُوّةِ الله، القوّةِ التي يمكن أن تغيّرَ أيَّ شخص!

٢ سايمون شروك، *One Anothering* (ما ترجمته "مواقفنا بعضنا تجاه بعض") (كالونا، آيوا: منشورات كالفاري، ١٩٨٦) ص ١١٨.

١٢

المغفرة

كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ.

— أفسس ٤: ٣٢

ذات يوم بينما كنتُ أسير في أحد شوارع القدس، شاهدتُ صبيًّا صغيراً يمدّ يده ويضرب صبيًّا آخر. فما كان من الصبي الذي تعرّض للضرب إلّا أن ردّ اللكمة على الفور، لكنّ لكمته كانت أقسى من الضربة الأولى. وكما كان متوقّعًا، ردّ الصبيّ الذي وجّه الضربة أولاً بقوّة أكبر، فأحدث ذلك شجاراً شاملاً.

بينما كنتُ أشاهدُ الصبيَّينِ يَرُدُّونَ الشرَّ بالشرّ، تخيَّلْتُ أنّهما يُمثِّلانِ الصِّراعَ الإسرائيليَّ الفلسطينيَّ المزمن. فيُرَدُّ العنفُ بمزيدٍ من العنف، ويُنتقَمُ مِن استخدامِ القُوّةِ باستخدام القوّة المفرطة، ويعطي الظلمُ المتلقّى الحقَّ في إنزالِ ظُلمٍ أشدّ. وبالنظرِ إلى رُدُودِ الفعل هذه التي يمكنُ التنبُّؤُ بها، هل منَ المستغرب أنَّ محادثات السلام لطالما تعثّرت وأنَّ التقدّمَ في إيجاد حلٍّ للصراع يبدو ميؤوسًا منه؟ وبما أنّ كلا الجانبَينِ مصمّمٌ على ردّ الظلمِ المشروع، فكيف يمكن تحقيق السلام يومًا ما؟

يَكمُنُ الحلُّ لِدَوّامةِ العُنفِ اللامتناهية في عالمنا، في الإمتناعِ عن الردِّ بالمزيدِ من السلوك نفسه. وإنّ التظاهرَ بعدمِ وُجودِ العُنفِ لا يُساعِد، وكذلك إنّ محاولة تقييم أيّ عنفٍ هو الأكثر تبريراً تأتي بنتائج عكسيّة. الحلُّ الوحيد هو الإعتراف بالعُنفِ والإعترافُ بالألم والمأساةِ التي سبّبها، واتّخاذُ قَرارٍ متعمَّدٍ بالمغفرة مهما كانت الحال. لكن من الصعب اختيار المغفرة، لأنّنا نميل بطبيعتنا إلى حماية أنفسنا. فعندما نتعرّض للإهانة، علينا أن نتعامل مع كلٍّ من ألمِ الإساءة وحقيقةِ أنَّ شخصًا ما يكرهنا بما فيه الكفاية لإيذائنا، وأن يكونَ رَدُّنا الطبيعيُّ البدءَ بإعداد قائمة بالشكاوى ضدّ المعتدي.

لكنّ المغفرة تتّبع مقاربةً مختلفةً تمامًا؛ عندما نعترف بالخطأ نُسقِط التّهم. ويُجسّد هذه المغفرةَ في الكتابِ المقدّسِ استفانوسُ الشهيدُ الذي صلّى في أثناء رجمِه بالحجارة، "يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ

الْخَطِيَّةَ" (أعمال الرسل ٧: ٦٠). لقد أقرّ بأنّ أفعالَ أعدائه خطيّةٌ، ومع ذلك طلب من الله رحمةً لهم. هذه هي المغفرة الحقيقيّة.[١]

عندما نختار المغفرة، تُصبح أسلوبَ حياة. فبدلاً من أن نحاول أن نرى هل بإمكاننا أن نغفر الإساءاتِ الفرديّة، نتوشّحُ بِرُوحِ المغفرةِ التي تبحثُ عن فُرَصٍ لتقديم العفو. وعلى غرارِ والدِ الابنِ الضالّ، نعيشُ ترقُّبًا لليومِ الذي يمكننا فيه منحُ المغفرةِ الفعليّةِ لأولئك الذين سبقَ أنْ غَفَرَتْ لهم قلوبُنا.[٢]

باختيارِنا المغفرة، نُقرُّ بأنّه لا يمكنُنا أن نفعلَ أيَّ شيءٍ لإبطالِ أخطاءِ الماضي، ولذلك نتطلّعُ إلى المستقبل. إنّنا نرفض قبول حالة العلاقة المضطربة، بل نعمل بنشاط من أجل غدٍ أكثرَ إشراقًا. ومع أنّ اللهَ وحدَهُ يَعلمُ كيف سيستجيبُ خصومُنا، فإنّ المغفرةَ تُرسي أُسُسًا للعلاقاتِ المستردَّةِ والسلامِ الحقيقيّ.

---

١ ج. ك. فينغر، ص. ٩.

٢ سايمون شروك، *One Anothering* (ما ترجمته "مواقفنا بعضنا تجاه بعض")، الصفحتان ٥٤ و٥٥.

١٣

المعاناة

لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ.

— فيلبّي ١: ٢٩

في العام ١٩١٨، فيما ساهمَتِ الحربُ العالميّةُ الأُولى في نَشرِ المشاعرِ المعاديةِ للألمان في أميركا، جُنّدَ أربعةُ رجالٍ هوتريتيّين (Hutterites) ناطقين بالألمانيّة من ولاية داكوتا الجنوبيّةِ في الخدمة العسكريّة. لكنّ إيمانَهم بتعاليم يسوعَ لم يَكُنْ يَسمَحُ لهم بالمشاركةِ في الحرب. ونتيجةً لذلك، وضعَهُم المسؤولون العسكريّونَ الأميركيّونَ في السجنِ الانفراديّ في زنزاناتٍ تكسوها الرطوبةُ والقذارة. وما كانوا يحصلون سوى على القليلِ من الطعام. واضطرّوا إلى النوم على أرضيّاتٍ رطبةٍ وباردة، ومِن ثَمَّ أُصيبَ اثنانِ منهم بالمرضِ وتُوُفِّيا، وأُطلِقَ سراحُ أحدِ الرجُلَينِ الباقيَين، فيما سُجِنَ الآخَر، وهو يُدعى جاكوب ويپف.

وقال جاكوب ويپف في خلال فترة السجن: "أحيانًا أَحسدُ الثلاثةَ الذين سبقَ أن أُعتِقُوا من آلامِهم، ثُمَّ أتساءلُ، لمَ ثَقُلَتْ يَدُ

اللهِ عليَّ جدًّا؟ لمَ يجب أن أستمرَّ أنا وحدي بالمعاناة؟ لكنْ ثَمّةَ فَرَحٌ أيضًا؛ فَبِوُسْعي أن أَبكيَ فرحًا عندما أُفكِّرُ في أنّ الربَّ يعتبرُني جديراً بأنْ أُعانيَ قليلاً من أجله."[١]

على مرّ التاريخ، قام أتباعُ المسيح باتّباعِه عبرَ المعاناة. واستجابةُ المسيح للمعاناة هي مثالٌ يَحتذي به كلُّ مَن هو مَدْعُوٌّ للمعاناة مِن أجل اسمِه. "لأَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُواتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ." (١ بطرس ٢: ٢١– ٢٣).

---

١ ج. ك. فينغر، الصفحات ٥٣–٥٧.

إنّ هذه الكلماتِ موجَّهةٌ إلينا. فمع أنّ طبيعتنا البشريّة ترغب في أن تَرُدَّ صاعَ الافتراءِ صاعَين، أو أن تُهدّدَ الأعداءَ بالانتقام، نرى أنّ المسيحَ أعطى مقاربةً مختلفة؛ إنّه يدعونا إلى أن نسلّم معاناتَنا لله، سامحينَ له بأن يُنزِلَ الانتقامَ حسبما يرتئيه.

ففي النهاية، الله هو من يدافع عنّا. وعلى الرغم من أنّنا قد نشعر بالحاجة إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح، فإنّ شعوراً عظيمًا بالسلام يحلّ فينا عندما نضع الظلم بين يَدَي الله. فهو القاضي المثاليُّ الذي يعرفُ بالتحديد مَن هو المحقّ ومَن هو المخطئ، ويمكنه الدفاعُ عنّا إذا اختار ذلك.

عندما تألّمَ المسيح، نظرَ إلى أبعدَ مِن مُعاناتِه، وإلى ما يَكمُنُ في الجانب الآخر. كما تذكر رسالة العبرانيّين ١٢: ٢، "نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ." ولدى المؤمنين الذين يعانون الأملُ نفسه!

١٤

صقل الذهب بالنار

لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ.

— أيوب ٢٣: ١٠

كان جون فرانز قسّيسًا مانونيًّا يعيش في مونتانا في أثناء الحرب العالميّة الأولى. اشتبه جيرانُه به بسبب جذورِه الألمانيّةِ وكَرِهوهُ لأنّه رفضَ شراءَ سنداتِ الحرب، فاختُطِفَ وكاد يُعلَّقُ على حبلِ المشنقة. وكانت وراءَ هذا الفعلِ مجموعةٌ من الجيران، بمن فيهم ضبّاطُ إنفاذِ القانون المحلّيّون. لكنْ بفضل رحمة الله، نجا جون من الشنق، واقتِيدَ إلى السجنِ بدلًا مِن ذلك. وبعد أيّامٍ عدّة، دفعت كنيستُه كفالةً فأُطلِق سراحُه.

مرّت سنواتٌ عدّة، وفي أحدِ الأيّامِ اقتربَ رجلٌ مِن جون فيما كان يعمل. عَلِمَ جون أنّه أحدُ الرجالِ الذين حاولوا شنقَه. اعترفَ هذا الأخيرُ بأنّه كان مخطئًا، وطلبَ مِن جون أن يغفرَ له، فنظر جون إلى الرجل ومدّ يده مصافحًا، ثمّ قال له: "أنا أسامحُكَ من كلّ قلبي."[١] لقد أصبح العدوُّ صديقًا.

١ إليزابيث هيرشبرغر بومان، الصفحات ٣١–٣٨.

في خمسينيّاتِ القرنِ العشرين، احتدمَ صراعٌ عنيفٌ في كينيا بين الحكومة البريطانيّة الاِستعماريّةِ والكينيّينَ المحلّيّين. واجه المؤمنون الكينيّون الوطنيّون خياراً صعبًا: هل يقفون إلى جانب الكينيّين أم إلى جانبِ الأجانب الذين يُديرون الحكومة؟ وفيما كان رؤساءُ الكنيسة يُصلّون، توصّلوا إلى قرار: لا يمكنهم القتال إلى جانب أيٍّ من الطرفين. وأنشؤوا مخيّمًا مسيحيًّا في مكانٍ يُعرف باسم ويثاغا، ويمكن لأيّ شخصٍ أن يقصدَه معلنًا أنّه اختارَ طريقَ السلامِ الذي يُنادي به يسوع.

لم يكن الخيار سهلًا؛ فالذين كانوا يقاتلون امتعضوا من أولئك الذين رفضوا القتال، وتعرّض الكثيرُ من المسيحيّين للضرب وقُتِل بعضٌ منهم. لكنّ الأُمور تغيّرت تدريجيًّا إذِ اختبر بعضُ الذين كانوا يضطهدون المسيحيّين الولادةَ الجديدة. لقد تغيّرت حياتُهم بشكلٍ جذريّ، فقد قادَهُمُ طريقُ السلام الذي أظهرهُ إخوانُهم الكينيّون إلى المسيح.[٢]

لقد تناولنا في هذه الدراسة الأساليبَ التي يعاني بها الأبرياء على أيدي الآخرين، وبحثنا في الوسائل التي يُدعى بها المسيحيّون

٢ ج. ك. فينغر، الصفحات ٣٩–٤١.

إلى الاستجابة. بَيدَ أنّ هذه الاستجابات لا تضمَنُ دائمًا الحصولَ على نتائج مرئيّة. فما مِن وعدٍ بأنّ خصمَنا سيطلبُ المغفرة كما فعل عدوُّ جون فرانز، ولسنا متأكّدين من أنّنا سنرى مضطهِدينا يلجؤون إلى المسيح كما فعل جيران الكينيّين. ومع ذلك، لدينا وعدٌ بأنّنا سنجني الثمار، ونحن متأكّدون من أنّ الخير سيأتي بعد انتهاء تجاربنا.

يتّخذ أحيانًا الذهبُ الذي يخرج من نيران معاناتنا شكلَ نموّ الشخصيّة، ويَحدثُ النموُّ أحيانًا في حياةِ أولئك الذين يراقبون تجاربَنا، وأحيانًا أُخرى في حياة أولئك الذين يسبّبون ألَمَنا. بِغَضِّ النظرِ عن ذلك، نحن نثقُ بأنّ ما يقصدُه لنا عدوُّنا شرًّا، يمكن لله أن يستخدمَهُ للخير (التكوين ٥٠: ٢٠)، ولذلك نواصلُ المسيرة. وعلى الرّغم من أنّ الناس يُسيئون إلينا ويُؤذُونَنا، ومع أنّنا نَيأسُ مِن مُضايقِينا، فإنّنا نتذكّرُ مَن هو الله، ونتذكّرُ مَن نحن، ونتذكّرُ أنّ الأذى الذي يسبّبُه لنا الآخَرُون قد يكون أداةً يستخدمُها اللهُ لِخَلقِ الجَمالِ في حياتِنا وفي عالَمِنا. وأخيرًا نتذكّرُ أنّه بِوُسعِنا الوُثُوقُ بالله تمامًا، حتّى عندما تكونُ الحياةُ صعبةً.

نبذة عن المؤلف

ترعرعَ دانيال ميلير في جبالِ رِيفِ ولايةِ فرجينيا الغربيّة. منذُ طفولتِه مالَ إلى الاختلاطِ بالناس، وجذبَهُ التأمُّلُ في السلوكِ البشريّ. وتسنَّتْ لَهُ فُرَصٌ كثيرةٌ في خلال السنواتِ العشرِ التي قضاها في مهنةِ التدريس، ليُراقِبَ طريقةَ تفاعلِ الناسِ ويتأمّلَ فيها. وإنّ السنوات التي أمضاها في منطقة مزدحمة في الشرق الأوسط تُمزّقُها الصراعات، منحَتْهُ لمحاتٍ متبصِّرةً عن العلاقات الإنسانيّة. يعيش دانيال حاليًا في هاريسونبورغ في ڤرجينيا مع زوجته جويتا وابنهما مالاكاي.

إذا كنتم ترغبون في الاتّصال بدانيال، يمكنُكم إرسالُ بريدٍ إلكترونيٍّ إليه على العنوان التالي:

savedfromlions@gmail.com

أو مراسلته عبر خدمات المعونة المسيحيّة

Christian Aid Ministries،
صندوق البريد ٣٦٠،
برلين، أوهايو ٤٤٦١٠.

الطَّريقُ إلى اللهِ والسَّلامِ

إنَّنا نعيشُ في عالَمٍ مُلَوَّثٍ بالخطيَّة. والخطيَّةُ هي أيُّ شيءٍ يُعاكِسُ معاييرَ الله المقدَّسة. فعندما لا نَتبعُ الإرشاداتِ التي أعطانا إيَّاها خالِقُنا، نكونُ مُذنِبينَ بالخطيَّة. والخطيَّةُ تفصِلُنا عنِ الله، مَصدرِ الحياة.

منذُ أن أخطأ الرَّجُلُ والمرأةُ الأوَّلان، آدمُ وحوّاء، في جَنَّةِ عَدْن، ما بَرِحَتِ الخطيَّةُ عالَميَّةَ النِّطاق. ويقول الكتابُ المقدَّس إنَّ جميعَ البشَر، ونحنُ منهم، "أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣: ٢٣). ويقولُ أيضًا إنَّ العاقِبةَ الطبيعيَّةَ لِتلكَ الخطيَّة هيَ الموتُ الأبديُّ، أو العِقابُ في جحيمٍ أبديٍّ: "ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا" (يعقوب ١: ١٥).

ولكنْ لسنا مُضطرِّينَ لِأنْ نُكابِدَ الموتَ الأبديَّ في جهنَّم. إذ أعدَّ اللهُ غُفرانًا لخطايانا بِمَوتِ ابنِهِ الوحيد، الرَّبِّ يسوعَ المسيح. ولأنَّ المسيحَ كان كامِلًا وبلا خطيَّة، أمكَنَ أن يموتَ عِوضًا عنَّا. "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنَّا ٣: ١٦).

التَّضحِيةُ التَّعويضيَّةُ هي شيءٌ يُبذَلُ لِيُفيدَ شخصًا آخَر، وهي تُكلِّفُ الباذِلَ كُلفةً باهظة. وقد كانَ الرَّبُّ يسوعُ هو تضحيةَ اللهِ التَّعويضيَّة. فإنَّ موتَ المسيح يرفَعُ عقوبةَ الخطيَّة عن كُلِّ مَن

يقبَلُ هذهِ التَّضحيةَ ويتوبُ حقًّا عن خطاياه. والتَّوبةُ عنِ الخطايا تعني أن نكون آسِفينَ ونادِمينَ على التجاوُزاتِ التي ارتكَبْناها، والتي انتهَكَت مَعاييرَ الله، وأن نَرجِعَ عنها (أعمال الرسل ٢: ٣٨؛ ٣: ١٩).

لقد ماتَ الرَّبُّ يسوع، ولكنَّهُ لم يبقَ مَيْتًا. فبعدَ ثلاثةِ أيَّام، أقامَهُ روحُ الله بمُعجِزةٍ إلى الحياةِ من جديد. وروحُ الله يعمَلُ فينا شيئًا مُشابهًا. فعندما نقبلُ المسيحَ باعتِبارِهِ التَّضحيةَ التَّعويضيَّةَ عنَّا ونتوبُ عن خطايانا، تُغيَّرُ قلوبُنا. إنَّنا نُصبِحُ أحياءً روحيًّا! فتَنشأُ فينا أشواقٌ ومواقِفُ داخليَّةٌ، كلُّها جديدة (٢كورنثوس ٥: ١٧). ونبدأُ نتَّخِذُ خِياراتٍ تُسِرُّ الله (١يوحنَّا ٣: ٩). وإن أخفقْنا فعلًا وارتكبْنا خطايا، نستطيعُ أن نطلُبَ الغُفرانَ من الله. "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١يوحنَّا ١: ٩).

ما إن تتغيَّرُ قلوبُنا، حتَّى نُريدَ أن نستمرَّ نامينَ روحيًّا. سَيُسعِدُنا أن ندَعَ الرَّبَّ يسوعَ يكونُ السَّيِّدَ على حياتنا، وسنُريدُ أن نتشبَّهَ بهِ أكثر. ولكي نفعلَ هذا، يجِبُ علينا أن نتأمَّلَ في كلمة اللهِ المقدَّسة ونتواصَلَ مع الله بالصَّلاة. وسنَشهَدُ أمامَ الآخرينَ عن هذا التَّغيير بقُبولِ المعموديَّة ومُشارَكَةِ بِشارَةِ انتِصارِ الله على الخطيَّةِ والموت. ثُمَّ إنَّ الشَّركةَ مع جماعةٍ من المؤمنينَ الأُمناء ستُقوِّي مسيرتَنا مع الله (١يوحنَّا ١: ٧).